الدرس السادس:

فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله، وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة.

ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكره، فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[١]، ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢] واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[٤]، الآية، فقل له: أعرفت أن الله كفر من قصد الأصنام، وكفر من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله ﷺ.

هذه هي الشبهة الثانية وملخصها أن الذين بعث النبي ﷺ في الإنكار عليهم ومحاربتهم وقتالهم قوم كانوا يعبدون الأصنام والأصنام لا شبهة في عبادتها ولذلك حاربتهم الرسل أما هو أي المشرك فيصرف العبادة إلى الملائكة والنبيين والصالحين الذين في عبادتهم نفع وهو طلب جاههم و شفاعتهم. ففرّق بين الشرك بالأصنام والأحجار وبين الشرك بالملائكة والصالحين.

---

(١) الإسراء: ٥٧.

(٢) المائدة: ٧٥-٧٦.

(٣) سبأ: ٤٠-٤١.

(٤) المائدة: ١١٦.

قال رحمه الله: **فإن قال: هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً؟ فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة**: ومقصدهم من قولهم: **هؤلاء الآيات** أي الآيات التي فيها النهي عن الشرك والتحذير منه وبيان عاقبة أهله. وقول الشيخ رحمه الله: **فجاوبه بما تقدم** أي في جوابك عليه في الشبهة الأولى ومخلصه أن المشركين إنما عبدوا من عبدوا لطلب الشفاعة والجاه **فإنه إذا أقر أن الكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وأنهم ما أرادوا ممن قصدوا إلا الشفاعة** فبهذه الإجابة سقطت عنا الشبهة الأولى.

ثم أجاب رحمه الله عن الشبهة الثانية: فقال: **ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر فاذكر له أن الكفار منهم من يدعو الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾**[1]. قوله **ولكن إذا أراد أن يفرق بين فعلهم وفعله بما ذكر** وهو من التفريق بين عبادة الملائكة والصالحين وعبادة الأصنام والأحجار **فاذكر له أن الكفار منهم من يدعوا الصالحين والأصنام ومنهم من يدعو الأولياء الذين قال الله فيهم** إذاً القوم الذين بعث فيهم النبي ﷺ وقاتلهم بل وقاتلتهم الرسل جميعاً هم قومٌ وقعوا في الشرك في الصالحين والأصنام وغيرها من أنواع الشرك **الذين قال الله فيهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾**[2] هذه الآية فيها بيان أن الذين يدعوهم المشركون هم قوم يتعبدون لله سبحانه وتعالى ويطلبون القربة إليه وهم الملائكة والأنبياء والصالحون وقد فسر ابن مسعود رضي الله عنه الآية في اسم الإشارة أولئك: قال: الجن ورجح ذلك الطبري، وذهب شيخ الإسلام وغيره إلى أن الآية تشمل الجن وغيرهم ممن دعي من الصالحين كالملائكة والنبيين وصالحي الجن فالآية دالة على أن الذين بُعث فيهم النبي ﷺ كانوا يعبدون الأصنام والصالحين والأولياء.

ثم قال رحمه الله: **ويدعون عيسى ابن مريم وأمه، وقد قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ**

---

(١) الإسراء: ٥٧.

(٢) الإسراء: ٥٧.

خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1] واذكر له قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[3].

وفي هذا إثبات أن الذين بُعث فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعبدون الجن والشياطين ويعبدون أيضاً الملائكة وبعضهم يعبد عيسى بن مريم.

ثم قال رحمه الله: **فقل له: أعرفت أن الله كَفَّر من قصد الأصنام وكَفَّر أيضاً من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟** لكن المشبه الذي أشرب قلبه حب الشرك يُراوغ.

فإن قال: الكفار يريدون منهم، وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار المدبر لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم. فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء واقرأ عليه قوله تعالى: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[5]. واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم، فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه، وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها.

ثم قال رحمه الله: **وأنا أشهد أن الله هو النافع الضار لا أريد إلا منه والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم:** ومعنى هذا ملخصاً هو تكرار الخطأ في الشبهة الأولى وهو ظن أن التوحيد الذي يُنجيه هو إقراره بأن الله سبحانه وتعالى هو أنه لا نافع ولا ضار ولا مدبر إلا

---

(١) المائدة: ٧٥-٧٦.

(٢) سبأ: ٤٠-٤١.

(٣) المائدة: ١١٦.

(٤) الزمر: ٣.

(٥) يونس: ١٨.

الله والإقرار بهذا لا يزيد عن أن يكون إقراراً بتوحيد الربوبية ثم إنه فرق بين ما وقع منه وما وقع من المشركين بقوله: **إن المشركين يريدون منهم** ولسان حاله يقول: وأنا أريد بهم لأنه قال: **ولكن أقصدهم أرجو من الله شفاعتهم** فهو يريد بهم وأولئك يريدون منهم أي إن الكفار يسألونهم ويطلبونهم جلب المنافع ودفع المضار وأما هذا فهو يقول: أنا أريد بهم يعني أتوسل بهم لتحقيق مطلوبه. والفرق بين الشبهة الأولى وبين هذه الشبهة: أنهم في الشبهة الأولى اعتمدوا على الجاه وفي هذه الشبهة اعتمدوا على الشفاعة. هناك قال أن الصالحين لهم جاه وأنا مذنب ليس لي جاه فهناك نظروا إلى الجاه وهنا نظروا إلى الشفاعة.

ثم قال رحمه الله: **فالجواب: أن هذا قول الكفار سواء بسواء فاقرأ عليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1] وقوله تعالى: ﴿هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[2]**، هذا عين ما وقع فيه المشركون ومن المشركين من كان يطلب منهم ويقصدهم ومنهم من كان يطلب بهم ولا فرق في ميزان الشارع بين أن تطلب به أو تطلب منه فإن الله سبحانه وتعالى نهى العباد عن جميع صور الشرك وأنواعه.

ثم قال رحمه الله: **واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عندهم،** فأنت إذا تأملت هذه الشبه الثلاث وكان عندك معرفة بكتاب الله بل بشيء من كتاب الله وشيء من هدي النبي ﷺ تبددت هذه الشبهات وصدق عليها قول الشاعر:

وكل كاسر مكسور

فليس فيها متعلق وإنما هؤلاء كما قيل يتعلقون بأشعة القمر فإنهم يبحثون عن أدنى متعلق يبررون به شركهم وما وقعوا فيه من عبادة غير الله ويعتمدونه في مواقعة ما أشربت قلوبهم وهو الكفر بالله تعالى والإشراك به وإلا فهذه أدنى من عرف وتدبر كلام الله سبحانه وتعالى يعلم أنه ليس فيها مستمسك وليس عليها معول

(١) الزمر: ٣.
(٢) يونس: ١٨.

ثم قال رحمه الله: **فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه وفهمتها فهماً جيداً فما بعدها أيسر منها.**

ثم بدأ الشيخ في ذكر فروع أو أنواع من الشبهات هي دون الثلاث الأول فأول هذه الشبه التي تعتبر فروع عما تقدم هي ما قاله رحمه الله:

فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له: أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك؟ فإذا قال: نعم، فقل له: بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك فإن كان لا يعرف العبادة ولا أنواعها فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[1].

فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة لله؟ فلا بد أن يقول لك: نعم، والدعاء مخ العبادة، فقل له: إذا أقررت أنه عبادة لله ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً، ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا عملت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[2] **وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة، فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: فإذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر، ويقول: نعم، وقل له أيضاً: المشركون الذين نزل فيهم القرآن، هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم، فقل له: وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك، وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله وتحت قهره، وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم، والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة، وهذا ظاهر جدّاً.**

قال رحمه الله: **فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة** الشبهة هي قوله: أنا التجئ إليهم والالتجاء والدعاء ليس عبادة فمناقشتهم ستكون كما يلي:

قال رحمه الله: **فقل له: أنت تقر أن الله افترض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك؟**: أما دلالة هذا

(١) الأعراف: ٥٥.

(٢) الكوثر: ٢.

فلا أظن أحداً يؤمن بالله ورسوله ينكر أن الله افترض عليه إخلاص العبادة لأن الله نص في كتابه فقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[(١)] وأما كون إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى حقه فكما تقدم معنا في حديث معاذ: ((حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)) فهي أمره وحقه سبحانه وتعالى.

ثم قال رحمه الله: **فإذا قال: نعم. فقل له: بيِّن لي هذا الذي فُرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وحده وهو حقه عليك فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها**: لا شك أن الذي يقول: إن دعاء غير الله سبحانه وتعالى ليس عبادة لا يعرف العبادة ولا أنواعها ولذلك لم يترك له رحمه الله مجالاً للجواب فقال: فإنه لا يعرف العبادة ولا أنواعها.

ثم قال رحمه الله: **فبينها له بقولك: قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**[(٢)] بينها له بما أنكر أنه عبادة فإنه أنكر أن الدعاء عبادة ونحن قد تقدم لنا ضابط العبادة فقلنا: العبادة هي كل ما أمر الله به ورسوله. انظر إلى هذه الآية، قال الله جل ذكره: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ وهذا فيه الأمر بالدعاء فثبت بهذا أن الدعاء عبادة، واعلم بارك الله فيك أن الدعاء في القرآن يرد تارة ويراد به دعاء المسألة ويرد تارة ويراد به دعاء العبادة وهما متلازمان فإذا ورد في موضع دعاء العبادة فإنه يتضمن دعاء المسألة وإذا ورد في موضع دعاء المسألة فإنه يستلزم دعاء العبادة ولذلك فسر كثير من أهل العلم الدعاء هنا بدعاء المسألة وقال بعضهم: إن المراد هنا دعاء العبادة ولا ضير إذ إن كلاً منهما يشمل أو يستلزم الآخر: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾ فأمر الله سبحانه وتعالى بدعائه تضرعاً وانكساراً وخفيةً دون الجهر من القول.

ثم قال رحمه الله: **فإذا أعلمته بهذا فقل له: هل علمت هذا عبادة لله فلا بد أن يقول: نعم**. لماذا لا بد أن يقول: نعم؟ لأن العبادة هي كل ما أمر الله به ورسوله وهنا أمر ظاهر لا إشكال فيه ونحن نقول: كل

(١) البينة: ٥.

(٢) الأعراف: ٥٥.

ما أمر الله به ورسوله يشمل أمر الإيجاب وأمر الاستحباب.

ثم قال رحمه الله: **والدعاء مخ العبادة**[1]: هذا أيضاً في الاستدلال على أن الدعاء عبادة وهذا الحديث رواه الترمذي وفيه ضعف وأصح منه ما رواه الترمذي أيضاً بسند جيد وهو قوله ﷺ: **(الدعاء هو العبادة)**[2] ففسر النبي ﷺ الدعاء بالعبادة وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة، فأما دعاء المسألة فهو: طلب جلب النفع أو كشف الضر أو دفعه. وأما دعاء العبادة فهو يشمل كل قربة يتقرب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى من صلاة أو زكاة أو حج أو صدقة أو غير ذلك من أنواع العبادات. فدعاء العبادة شامل لكل ما أمر الله سبحانه وتعالى به وأما دعاء المسألة فهو طلب فعل الخير من الله سبحانه وتعالى أو دفعه.

ثم قال رحمه الله: **فقل له: إذا أقررت أنه عبادة ودعوت الله ليلاً ونهاراً خوفاً وطمعاً ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره؟** فلا شك أنه سيقول: نعم إذ إنه صرف العبادة لغير الله فمن دعا نبياً أو ولياً أو ملكاً أو جنياً فإنه قد صرف نوعاً من العبادة لغير الله وهذا هو الشرك الذي جاءت الرسل للنهي عنه والدعوة إلى تركه والتخلي عنه.

ثم قال رحمه الله: **فلا بد أن يقول: نعم. فقل له: فإذا علمت بقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[3] وأطعت الله ونحرت له هل هذا عبادة؟ فلا بد أن يقول: نعم. فقل له: فإذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلا بد أن يقر، ويقول نعم،**: وهذا استدلال بما هو أظهر وأوضح لأنه يناقش في مسألة الدعاء فبعد أن قررنا أن الدعاء عبادة وأن صرفه لغير الله شرك قطعاً للمنازعة وقطعاً للإيراد ضربنا في ذلك مثلاً واضحاً وهو الذبح فإن الله سبحانه وتعالى قد أمر بالذبح له دون غيره فقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[4] فإذا عملت هذا وأطعت الله وذبحت له أليس

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات من حديث أنس بن مالك برقم: ٣٢٩٣.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن من حديث النعمان بن بشير برقم: ٢٨٩٥، وأخرجه أبو داوود في كتاب الصلاة برقم: ١٢٦٤.

(٣) الكوثر: ٢.

(٤) الكوثر: ٢.

هذا عبادة فسيقول: بلى هذه عبادة فقل له: فإذا نحرت لمخلوق نبي أو جني أو غيرهما، هل أشركت في هذه العبادة غير الله؟ فلابد أن يقر ويقول: نعم وإلا فإذا كابر وقال: لا فلا معنى للشرك فما هو الشرك ! إذا لم يكن هذا هو الشرك؟ ولذلك فلا بد أن يُقر ويقول: نعم.

ثم قال رحمه الله: **وقل له أيضاً، المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك؟ فلا بد أن يقول: نعم،** لأننا قد أجبنا على شبهته وبينا له من كتاب الله وسنة رسوله أن المشركين الذين نزل فيهم القرآن كانوا يعبدون الملائكة وكان منهم من يعبد الجن وكان منهم من يعبد الصالحين وغير ذلك. وهذا هو الجواب على الشبهة الثانية.

ثم قال رحمه الله: **فقل له: وهل كانت عبادهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك**: لا لم تكن عبادهم في غير ذلك إنما كانت عبادهم في هذه الأشياء **وإلا فهم مقرون أنهم عبيد الله وتحت قهره**: ولذلك كان إذا وجه لهم السؤال فيمن يملك ويدبر ويخلق ويرزق كانوا يقولون: الله.

ثم قال رحمه الله: **وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجؤوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جداً**: وليس بعد هذا الجواب جواب فهو أظهر جواب في الرد على هذا المُلبِّس أو المُلبَّس عليه.